

تفسير البحر المحيط

@ 246 عطية : { مَا غَشِيَهُمْ } إبهام أهول من النص على قدر ما ، وهو كقوله { إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى } والظاهر أن الضمير في { غَشِيَهُمْ } في الموضوعين عائد على فرعون وقومه ، وقيل الأول على فرعون وقومه ، والثاني على موسى وقومه : وفي الكلام حذف على هذا القول تقديره فنجى موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه . وقال الزجاج : وقرء وجنوده عطفاً على فرعون . .

{ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ } أي من أول مرة إلى هذه النهاية ويعني الضلال في الدين . وقيل : أضلهم في البحر لأنهم غرقوا فيه ، واحتج به القاضي على مذهبه فقال : لو كان الضلال من خلق الله لما جاز أن يقال : { وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ } بل وجب أن يقال : أضلهم لأن الله تعالى ذمه بذلك فكيف يكون خالفاً للكفر لأن ذم غيره بفعل شيء لا بد أن يكون المذموم فاعلاً لذلك الفعل وإلا استحق الذام الذم انتهى . وهو على طريقة الاعتزال { وَمَا هَدَى } أي ما هداهم إلى الدين ، أو ما نجا من الغرق ، أو ما هتدى في نفسه لأن { هُدَى } قد يأتي بمعنى اهتدى . .

{ هَدَى يَهْدِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ } ذكرهم تعالى بأنواع نعمه وبدأ بإزالة ما كانوا فيه من الضرر من الإذلال والخراج والذبح وهي أكد أن تكون مقدمة على المنفعة الدنيوية لأن إزالة الضرر أعظم في النعمة من إيصال تلك المنفعة ، ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله { وَوَعَدْنَاكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } إذ أنزل على نبيهم موسى كتاباً فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ، ثم يذكر المنفعة الدنيوية وهو قوله { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْكُتُبَ وَالْزُكُورَ } والظاهر أن الخطاب لمن نجامع موسى بعد إغراق فرعون . وقيل : لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم) اعتراضاً في أثناء قصة موسى توبيخاً لهم إذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله فهو على حذف مضاف ، أي أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون . وخاطب الجميع بواعدناكم وإن كان الموعودون هم السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام لسماع كلام الله ، لأن سماع أولئك السبعين تعود منفعته على جميعهم إذ تطمئن قلوبهم وتسكن وتقدم الكلام في { جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } في سورة مريم ، وعلى { وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْكُتُبَ وَالْزُكُورَ } في سورة البقرة . وقرأ حمزة والكسائي وطلحة : قد أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم بتاء الضمير ، وباقي السبعة بنون العظمة وحميد نجيناكم بتشديد الجيم من غير ألف قبلها وبنون العظمة وتقدم خلاف أبي عمرو وفي واعد في البقرة . .

والطيبات هنا الحلال اللذيذ لأنه جمع الوصفين . وقرء { الْإِيمَانُ } قال الزمخشري بالجر على الجوار نحو جرح ضرب خرب انتهى . وهذا من الشذوذ والقلّة بحيث ينبغي أن لا تخرّج القراءة عليه ، والصحيح أنه نعت للطور لما فيه من اليمن وأما لكونه على يمين من يستقبل الجبل ، ونهاهم عن الطغيان فيما رزقهم وهو أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم الله والنعم عن القيام بشكرها ، وأن ينفقوها في المعاصي ويمنعوا الحقوق الواجبة عليهم فيها . .

وقرأ زيد بن علي ولا تَطْغَوْا فيه بضم الغين . . وعن ابن عباس { وَلَا تَطْغَوْا } فيه { لا يظلم بعضكم بعضاً } فيأخذه من صاحبه يعني بغير حق . وعن الضحاك ومقاتل : لا تجاوزوا حدَّ الإباحة . وعن الكلبي : لا تكفروا النعمة أي لا تستعينوا بنعمتي على مخالفتي . وقرأ الجمهور { فَإِيْحِلْ } بكسر الحاء { وَمَنْ يَحْلِلْ } بكسر اللام أي فيجب ويلحق . وقرأ الكسائي بضم الحاء ولام يحلّل أي ينزل وهي قراءة قتادة وأبي حيوه والأعمش وطلحة ووافق ابن عتيبة في يحلل فضم ، وفي الإقناع لأبي علي الأهوازي ما نصه ابن غزوان عن طلحة لا يحلن عليكم { غَضَبِي } بلام ونون مشددة وفتح اللام وكسر الحاء أي : لا تتعرضوا للطغيان فيه فيحل عليكم غضبي من باب لا أرينك هنا وفي كتاب اللوامح قتادة وعبد الله بن مسلم بن يسار وابن وثاب والأعمش فَيُحْلِلْ بضم الياء وكسر الحاء من الإحلال فهو متعد من حل بنفسه ، والفاعل فيه مقدر ترك لشهرته وتقديره فيحل به طغيانكم { غَضَبِي } عليكم ودل على ذلك { وَلَا تَطْغَوْا } فيصير { غَضَبِي } في موضع نصب مفعول به . وقد يجوز أن يسند الفعل إلى { غَضَبِي } فيصير في موضع رفع بفعله ، وقد حذف منه المفعول للدليل عليه وهو العذاب أو نحوه انتهى . { فَاقْدَوْ هَؤُلَاءِ } كنى به عن الهلاك ، وأصله أن يسقط من جبل فيهلك يقال هوى الرجل أي سقط ، ويشبه الذي يقع في ورطة بعد أن بنجوة منها بالساقط ، أو { هَؤُلَاءِ } في جهنم وفي سخط الله وغضب الله عقوباته ، ولذلك وصف بالنزول .